جامعة المنستير
المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بالمهدية
جمعية الإبداع الثقافي

الكتاب السنوي الثاني
أعمال الندوة العلمية الدولية حول موضوع

الرحلة في طلب العلم

تجلّياتُها وتحوّلاتُها

أفريل 2018

تأليف مجموعة من الباحثين

تحت إشراف:
د. سامي التباب و د. عمر الخماري

Scanné avec CamScanner

طبع هذا الكتاب على نفقة جمعية الإبداع الثقافي
بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات بالمهدية

الكتاب: الكتاب السنوي الثاني أعمال الندوة العلمية الدولية حول موضوع "الرحلة في طلب العلم، تجلياتها وتحولاتها" أيام 11 و12 و13 أفريل 2018 بالمهدية – الجمهورية التونسية.

تأليف: مجموعة من الباحثين.

الطّبعة الأولى: 2018.

عدد الصفحات: 250.

القياس: 15 \ 21.

الإخراج الفني: عمر الخماري.

تصميم الغلاف: مريم الشول.

طبع مطبعة: الشركة العامة للطباعة والورق المقوى، صفاقس.

كمية السحب: 1000 نسخة.

جميع الحقوق محفوظة لجمعية الإبداع الثقافي بالمهدية.

سعر النسخة الواحدة بالجمهورية التونسية: 15 د . ت. 20 €

الترقيم الدولي: ISBN : 978-9938-0930-1-1

تونس 2018

Scanné avec CamScanner

المحتوى

1	ناجي التباب: تصدير.	05
2	الورقة العلمية.	07
3	يوسف السهيلي: البيداغوجيا المرتحلة: من تربية الأمير إلى تربية الشعب.	10
4	سامي التباب: رحلة الشّاعر في الذّاكرة راشد بن إسحاق أبو حكيمة نموذجا.	33
5	عبد القادر طالب: "تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" أنموذجا.	57
6	ضو سليم: الاختلاف الثّقافي وتمثُّلات الأنا والآخر في المحكِي الرَّحلي لفدوى طوقان من خلال سيرتها الذاتيَّة رِحلة جبليَّة رحلة صعبة.	97
7	عمارة الجداري: الرحلة العلميّة في رواية "عزازيل" بين التيهِ وشوْقِ العَوْدِ تشكّل الرحلة في طلب العلم خطابا روائيّ.	117
8	نورالدين امعيط: البعثات الطلابية إلى أوربا زمن السلطان الحسن الأول، الظروف والخصائص وأسباب الإخفاق.	143

Scanné avec CamScanner

Association de la Création Culturelle à Mahdia
Tél: 73 688 510
Fax: 73 688 513

البعد الثقافي للنصّ الرّحلي
"تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" أنموذجا

د. عبد القادر طالب *

توطئة:

تشكّل الرحلة نسقا معرفيا هاما ومصدرا ثقافيا رئيسيا، عليها اعتماد الدارسين وإليها مفزع الباحثين المهتمين بالشأن الثقافي والاجتماعي للشعوب قديما وبحلقات التفاعل الحضاري، الثقافي بين الأمم تاريخيا؛ فترحال الرحّالة وسفرهم الدائم قد ألهمهم سعةَ الإطّلاع وزوّدهم غزارة المعرفة؛ فكل ما نقلته لنا مروياتهم من طبائع وعادات وطقوس وآثار ومعالم، وكل ما استطرفته أنفسهم من مشاهدات وأخبار عن الأقوام والأمم التي احتكوا بها والبقاع التي حلّوا بها؛ قد أسهم -بقصد أو غيره- "*في توفير معارف تاريخية وجغرافية واجتماعية وثقافية عظيمة القيمة*"[1]، يثمّنها القارئ العادي قبل الباحث المتخصص، مما يصنّف أدب الرحلات من حيث قيمته المعرفية والتعليمية، في مصاف *أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين*"[2]؛ ويحلّ الرحالة منزلة العالم الأنثربولوجي أو الباحث الأنثوغرافي، الملمّ بتركيبة المجتمعات الإنسانية والعارف بشتى أنساقها، ثقافيا واجتماعيا وعقائديا...

ومن أبرز الرحالة الذين ما فتئت رحلاتهم رافدا معرفيا ومصدرا تعليميا

---

* أستاذ محاضر، جامعة أمحمد بوقرة ، بومرداس، الجزائر.

[1] فؤاد قنديل، *أدب الرحلة في التراث العربي*، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص68.

[2] ينظر: حسين محمد فهيم، *أدب الرحلات*، سلسلة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص15.

د. عبد القادر طالب
أستاذ محاضر
جامعة أمحمد بوقرة بومرداس

Scanné avec CamScanner

لكل باحث، نذكر أبا عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي الذي اشتهر باسم ابن بطوطة، وهو من أعظم الرحالة المسلمين؛ حيث لازم الترحال حياته، فأقام "هنا وهناك في ربوع بلاد امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بحر الصين شرقا وقد استغرقت رحلاته ما يقارب تسعة وعشرين عاما، عاد بعدها ليملي مشاهداته ومروياته الرّحلية على محمد بن جُزي الكلبي* الذي ضمّنها مؤلّف (تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)"[1].

ومن خلال هذا المؤلّف الرّحلي، تسعى هذه الورقة البحثية -بعون الله تعالى- أن تطرق ما تضمّنه من مادة ثقافية متعددة، وتبرز تجلياتها من خلال نماذج نصّية منتقاة، تأكيدا على ما يختمر به أدب الرحلات من تنوع ثقافي، يفتح أمام الباحثين خاصّة وطلاب العلم عامة، منافذ رحبة للدراسة الجّادة والقراءة المثمرة، وبمناهج بحثية متنوعة، بعيدا عن الجانب التوثيقي أو البيليوغرافي لها.

---

*هو: أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، شاعر وكاتب، استكتبه أبو الحجاج يوسف ابن الأحمر ثمّ تغيّر عليه، ففارقه إلى المغرب آخر عام 753 وحظي بمكانة عند السلطان أبي عنان وهو الذي أملى عليه ابن بطوطة رحلته بأمر السلطان أبي عنان، فكان قد فرغ من كتابتها في صفر757هـ/1356م؛

وروي أنّ-ابن جزي توفي يوم التاسع والعشرين من شوال عام 757 هـ/ 25 أكتوبر 1356م، أي أواخر السنة التي أنهى فيها كتابة الرحلة. ينظر:ابن بطوطة:رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحق: عبد الهادي التازي، خمسة مجلّدات، منشورات أكاديمية المملكة المغربية الرباط،1997، هامش الصفحة:152.

[1] ينظر: حسين محمد فهيم، *أدب الرحلات*، ص22-23.

Scanné avec CamScanner

في مفهوم الرحلة:

الرحلة: من الجذر الثلاثي (رحل) وبكسر الرّاء هي اسم للارتحال والمسير بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر. يقال: ارتحل البعير رحلةً: سار فمضى، ثمّ جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل الرجل عن المكان: إذا سار ورجل حول، وقوم رحّلٌ: أي يرتحلون كثيرا ويقال: رجُل رحّال: عالم بذلك مجيدٌ له ورجل رحيّل: أي قويّ على السير والارتحال[1]. وقد ورد لفظ الرحلة بهذا المعنى في القرآن الكريم، جاء في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[2].

ويأخذ المعنى الاصطلاحي للرحلة امتداده من معناها اللغوي؛ فهي وإن تعددت تعريفاتها بين الباحثين، تفضي إلى مفهوم واحد أيضا؛ بأنّها فعل "*الانتقال من مكان إلى مكان آخر لتحقيق هدف معيّن، ماديا كان أو معنويا*"[3]، وفي هذا التعريف -الذي نحسبه جامعا مانعا- نستشفّ ما يميّز بين الرحلة كفعل أو حدث تقوم به ذات تاريخية محملة بأحاسيس وانفعالات ورؤيات معيّنة ثمّ كخطاب ينجزه مرسل ينتج ملفوظاته وفق قواعد خاصّة وغايات محدودة تتعيّن في علاقتها بالمرسل إليه وبين الفعل والخطاب مسافة

---

[1] ينظر، ابن منظور: *لسان العرب*، مادة (رحل)، المجلد الخامس، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط3، 1999م. ص169-172.

[2] سورة قريش: الآيتان (1-2)

[3] عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، *الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها*، الدارالعربية للكتاب، القاهرة ط1، 1992، ص 05.

Scanné avec CamScanner

زمانية؛ فالأوّل سابق والثاني لاحق.[1]

ولعلّ الاختلاف في تحديد طبيعة الرحلة وتعدّد مفاهيمها، مردّه تنوّع موضوعاتها وتباينها فهي "*شكل نثري يتسع لموضوعات كثيرة سياسية وعلمية ودينية...*"[2]. كما تختلف الرحلات باختلاف بواعثها وتعدد أغراضها، حيث لكلّ رحلة أو سفر مقاصد وغايات، ومن بواعث الرحلة نذكر:[3]

الباعث الديني: كأداء مناسك الحجّ وزيارة الأماكن المقدّسة أو زيارة الأضرحة أو التبشير بالدّين والدعوة له.

الباعث العلمي أو التعليمي: رغبة في طلب العلم والاستزادة منه في بلدان أخرى اشتهر علماؤها وذاع صيتهم في مجالات العلم المختلفة، ومما ذكر في كتب الحديث والسّير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار، ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبويّ سمع به أو لمجرّد التحقق من كلمة فيه... ومن ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية.

الباعث السياسي: كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكّام إلى ملوك وحكّام الدول الأخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات، ومناقشة شؤون الدّول.

---

[1] ينظر: سعيد يقطين، *السرد العربي، مفاهيم وتجليات*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 175.

[2] محمد رياض وتار، *توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة*، م. اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2002، ص 206.

[3] ينظر: فؤاد قنديل، *أدب الرحلة في التراث العربي*، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص 1-20.

Scanné avec CamScanner

الباعث السياحي والثقافي: لتغيير الأجواء وتجديد الدّماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وتكون للتعرّف على المعالم الشهيرة؛ كالآثار والكهوف والغرائب والعجائب.

هذه جلّ بواعث الرحلة، التي يبقى الهدف المنشود منها ما تمّ تحصيله من ورائها، وأيّا كانت المقاصد، تبقى الرحلة مشروعا إنسانيّا، يتوّج صَاحبَه بجملةٍ من الدروس والعبر، ويزوّده من العلم والمعرفة ما كان يجهل؛ فيدرك بذلك خبايا الكون وأسرار الطبيعة، ويحيط بالكثير من العادات والطبائع البشرية؛ المألوفة منها والغريبة.

* **أدب الرحلة في التراث العربي:**

يعدّ أدب الرحلة في التراث العربي رافدا مهما ومصدرا رئيسا في إمداد المهتمين بتاريخ الأمم وثقافات شعوبها ومعتقداتها، بمادة ثرّية، غنية بالمصادر الثقافية والمعالم التي رصدها الرحّالة العرب وهم يجبون بقاع الأرض ومحيطاتها، بل لقد عدّت مرويات هؤلاء الرحالة بمثابة المدوّنات الأرشيفية التي حفظت للأجيال اللاحقة كنوزا ثمينة من موروثات ثقافية للأمم السابقة، بشقيّها المادّي والمعنوي وحالت بينها وبين التلاشي والاندثار.

ولئن لقيت الرحلة كفعل أو حدث انتشارا واسعا عند العرب الأوائل وحظيت لديهم بمنزلة كبيرة وبمختلف أنماطها (رحلات تجارية، رحلات علمية، رحلات جغرافية، رحلات سفارية...)، فإنّها لم تحظ بالاهتمام البالغ كعمل مدوّن أو كخطاب مكتوب إلاّ بعد عصر الإسلام؛ حيث صارت الرحلة جنسا

Scanné avec CamScanner

دمشق وغيرها وكيفية عملها أن يطبخ الخروب ثمّ يُعصر ويؤخذ ما يخرج منه الرّب، فتصنع منه الحلواء"[1]، كما يذكر ابن بطوطة جودة صناعة ماء الورد لدى أهل مدينة "نصيبين" التي حلّ بها في رحلته إلى العراق وفارس فيقول: "وهي مدينة عتيقة متوسّطة قد خرب أكثرها وهي في بسيط أفيح فسيح فيه المياه الجارية والبساتين الملتفّة والأشجار المنتظمة والفواكه الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في العطارة والطيب."[2]

آخر ما نختم به هذا العنصر، ما رصده الرحّالة من تداولٍ لحرفة صناعة الجوهر بين أهالي المدن الساحلية، يقول: "ومغاص الجوهر فيما بين (سيراف) والبحرين في نحور راكد مثل الوادي العظيم فإذا كان شهر إبريل وشهر مايه، تأتي إليه القوارب الكثيرة، فيها الغوّاصون وتجّار فارس والبحرين والقطيف... [ويلج الغوّاصون البحر] ويتفاوتون في الصبر في الماء فمنهم من يصبر الساعة والسّاعتين فما دون ذلك، فإذا وصل إلى قعر البحر يجد الصدف هناك فيما بين الأحجار الصّغار مثبتا في الرمل فيقتلعه بيده أو يقطعه بحديدة عنده معدّة لذلك ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقه، فإذا ضاق نفسه، حرّك الحبل، فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل، فيرفعه إلى القارب، فتؤخذ منه المخلاة ويفتح الصدف فيوجد في أجوافها قطع لحم تقطع بحديدة، فإذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر"[3].

---

[1] المصدر نفسه، م1، ص 254.

[2] المصدر نفسه، م2، ص 84.

[3] المصدر نفسه، م2، ص 147-150.

Scanné avec CamScanner

صفوة القول، إنّ أدب الرحلة فضاء متنوّع وثري بالمادة الثقافية، وإن كنّا قد حرصنا قدر الإمكان أن نقارب تمظهراتها، ونبرز تجلّياتها من خلال نصوص مختارة، متنوّعة ومتفرّقة من المتن الرحلي لابن بطوطة، فإنّ مقاربتنا تظلّ نسبية؛ تطال جوانب محدودة، وتطرق فجاجا ضيّقة، وسط بحر بلا شطآن من المعارف الإنسانية؛ الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية، ولعلّ النتيجة المبدئية التي نستخلصها وكلّ باحث في أدب الرحلة العربية، عظمة ما أقدم عليه هؤلاء الرحّالة العرب، فقد حمّلوا أنفسهم مشاقا كبيرة وبذلوا من جهدهم ووقتهم الكثير، لا لشيء سوى خدمة لأمّتهم ولأجيالها المتلاحقة، وقد كان لهم ذلك، فقد "*خدموا العلم كما خدموا الفتوحات الإسلامية خدمات جليلة، وحفزوا الخيال وأعانوا الحكّام، وفتحوا أمام طلاب العلوم والمعرفة آفاقا رحبة، ونوافذ عديدة*"[1]، ولذلك يجب أن تحاط متونهم الرّحلية باهتمام دراسيّ جاد، وأن تُقاربَ مادّتها من جوانب علمية مختلفة وبمناهج بحثية مغايرة، دونما الاكتفاء بالجانب التوثيقي أو البيليوغرافي لها.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

بك، (أحمد العوامري)، بك، (محمد أحمد جاد المولى)، *مهذّب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، المطبعة الأميرية، القاهرة 1933.

ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تحقيق: عبد الهادي التازي، خمسة مجلّدات، منشورات أكاديمية المملكة المغربية الرباط، 1997.

[1] فؤاد قنديل، *أدب الرحلة في التراث العربي*، ص06.

Scanné avec CamScanner

ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تقديم وتحقيق: الشيخ عبد المنعم العريان والأستاذ مصطفى القصّاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1987م.

الحجري، (إبراهيم)، *الإنسان القروسطي الملامح والعلاقات*، كتاب المجلة العربية (222)، فهرسة مكتبة فهد الوطنية، الرياض، دط، 1436 هـ.

ابن منظور، *لسان العرب*، المجلد الخامس، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط3، 1999.

محمد فهيم، (حسين)، *أدب الرحلات*، سلسلة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

حسين، (حسني محمود)، *أدب الرحلة عند العرب*، دار الأندلس للنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1983.

مؤنس (حسين)، *ابن بطوطة ورحلاته*، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

عبد اللطيف الصعيدي، (عبد الحكيم)، *الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها*، الدار العربية للكتاب،القاهرة ط1، 1992.

يقطين، (سعيد)، *السرد العربي، مفاهيم وتجليات*، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

ضيف، (شوقي)، *الرحلات*، دار المعارف، القاهرة، ط4. دت.

بن قينة، (عمر)، *اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة*، المطبوعات الجامعية، الجزائر1995.

الشمّاس (عيسى)، *مدخل إلى علم الإنسان*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

قنديل، (فؤاد)، *أدب الرحلة في التراث العربي*، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002.

رياض وتار، (محمد)، *توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة*، م. اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2002.

وهبة (مجدي)، والمهندس، (كامل)، *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

السليمان، (محمد صالح)، *الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث*، م. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، ج I، موفم للنشر، الجزائر 1989.

مجموعة من المؤلفين، *نظرية الثقافة*، ترجمة: سيّد الصاوي، (علي) ويونس (الفاروق زكي)، سلسلة عالم المعرفة العدد (223)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو1997.

Scanné avec CamScanner

Université de Monastir
Institut Supérieur des Études Appliquées en Humanité de Mahdia
L'Association de la création culturelle
Colloque international:
« Le voyage à la quête du savoir : manifestations et transformations »

الرّحلة في طلب العلم، تجلياتها وتحولاتها موضوع ندوة علمية دُولية نظّمها المعهد العالي للدّراسات التطبيقية في الإنسانيات بالمهدية بالاشتراك مع جمعية الإبداع الثّقافي أيام 11 و12 و13 أفريل 2018. وكان الهدف من هذه الندوة توسيح مجالات البحث في مسألة الرّحلة لِمَا تُثيره مِن قضايَا مُتشعّبة لَها صِلات مُتنوعة بالتَّرْبِية والتَّعْلِيم والآداب وَالعُلوم وَالمَعارِف عامة.

هذا الكتابُ حصيلةُ مداخلات علمية منتخبة شارك بها أصحابها في هذه الندوة العلمية الدّولية، وهي جديرة بالقراءة والارتحال في شعاب ما تسديه لطالب العلم من معلومات ونتائج معرفية تمّ التوصّل إليها بعد البحث والتمحيص.

Sous la direction de
Sami Tebbeb et Amor Khammari

ISBN 978-9938-0930-1-1

الثمن: 15 د.ت

Scanné avec CamScanner